شذرات تربوية من سيرة الإمام زين العابدين عليه السلام

المدرس الدكتور
خمائل شاكر الجمالي
جامعة بغداد - مركز إحياء التراث العلمي العربي
dr.khamael_sh@yahoo.com

المقدمة:

إن أول من ألف في دنيا الإسلام هم أئمة أهل البيت عليهم السلام والعلماء العظام من شيعتهم، فهم الرواد الأوائل في الميدان الأدبي والاجتماعي والديني، الذين خططوا مسيرة الأمة الثقافية وفجروا ينابيع العلم والمعرفة والحكمة في البلاد الإسلامية وغير الإسلامية.

وما نلفت إليه أن مؤلفاتهم وسائر بحوثهم لم تقتصر على علم خاص، وإنما تناولت جميع أنواع العلوم التي يحتاج إليها الإنسان، في حياته الخاصة والعامة والتي تفيده في دنياه وآخرته. فقد ألفوا في علوم كثيرة منها: الفقه، والتفسير، والحديث، والأصول، والصرف والنحو، والكلام، والفلسفة والحساب، والتاريخ والفلك...

وإلى جانب هذه العلوم وضعوا قواعد هامة في الأخلاق الإنسانية، وآداب السلوك الفردية والاجتماعية وأصول التربية. وكان أول الرواد الذي سبق في هذا المضمار رائد الأمة الفكرية والعلمية والأدبية الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الذي فتق أبواب العلوم العقلية والنقلية والتربوية وأسس أصولها وقواعدها. يقول العلامة المعروف عباس العقاد: (إن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قد فتق أبواب اثنين وثلاثين علماً، فوضع قواعدها وأرسى أصولها).

ومن الذين ألّفوا من الأئمة الطاهرين الإمام زين العابدين عليه السلام، فقد كانت سيرته التربوية نموذجاً فريداً لتطور الفكر الإسلامي وتقدم الحركة العلمية والثقافية في العالم العربي.

المبحث الأول

اسمه ونسبه عليه السلام:

هو علي بن الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، السيد، الإمام، العلوي، الهاشمي، المدني؛ رابع الأئمة الأثنى عشر؛ والرابع من خلفاء رسول الله صلى الله عليه وآله، الذين عينهم الرسول صلى الله عليه وآله واحداً واحداً بالأسماء.(١)

ولادته عليه السلام:

ولد علي بن الحسين عليه السلام بالمدينة المنورة نهار الخميس الخامس من شعبان المكرم في سنة ثمان وثلاثين من الهجرة في أيام جده علي بن أبي طالب عليه السلام، قبل وفاته بسنتين.)

كما عاش الإمام عليه السلام خلال مرحلة صباه وشبابه أحداثاً تاريخية كبرى في حياة الإسلام، منها مشروع صلح الإمام الحسن (المجتبى) عليه السلام مع معاوية الحاكم في بلاد الشام، ولقد شهد الأمام مراحل والده الحسين عليه السلام سبط الرسول صلى الله عليه وآله وسيد الشهداء وشهد تحركه ونهضته أمام سياسات السلطة الحاكمة آنذاك.(٢)

كناه عليه السلام:

فالمشهور: أو الحسن، وقيل: أبو محمد، وقيل: أبو عبد الله.(٣)

ألقابه عليه السلام:

له ألقاب كثيرة أشهرها: زين العابدين، وسماه رسول الله صلى الله عليه وآله سيد العابدين، والسجاد، وذي الثفنات، والزكي، والأمين، وزين الصالحين، ووارث علم النبيين، ووصي الوصيين، والزاهد، والعابد، والعدل، والبكاء، وإمام الأمة، وأبو الأئمة.(٤)

صفاته عليه السلام:

لقد توفرت في شخصية الإمام علي بن الحسين عليه السلام جميع الصفات الكريمة فكان الإمام السجاد عليه السلام شاباً حسن الوجه وحسن القامة، طريف الشمائل، أي عليه شمله وله ذؤبتان، وكان يعتم بعمامة بيضاء فيرخي عمامته من وراء ظهره، وله شعر طويل، وكان يخضب بالحناء والكتم، وأنه كان ذا كفايات عقلية عظيمة ومنزلة في الفضل والعلم والتقوى، وكان

يحفظ القرآن، ويحتج به على صغر سنه، وكان حاضر البديهة، طلق اللسان، وكان له جلالة عجيبة، فقد كان أهلاً للإمامة العظمى، لشرفه، وسؤدده وعلمه، وكمال عقله، وكان ذو ثقة، مأموناً، عالياً، رفيعاً، ورعاً، وكان ذاكراً، خاشعاً، صابراً، وكان عازماً بالخطرات، كثير البكاء والعبرات، معرضاً عن الجدال والخصومات، على الرغم من انه كان عليل الجسم، نحيل البدن(٥).

علمه عليه السلام:

قال المفيد في إرشاده: " لقد روى عنه الفقهاء من العلوم ما لا يحصى كثرة وحفظ عنه من المواعظ والأدعية وفضائل القرآن والحلال والحرام ما هو مشهور بين العلماء، ومضى يقول: أن عبد الله بن الحسن السبط عليه السلام قال: كانت أمي فاطمة بنت الحسين عليه السلام فما جلست إليه قط إلا قمت بخير قد أفقدته إما خشية لله تحدث في قلبي لما أرى من خشيته لله أو علم قد استفدته منه(٦).

و قال أبو حازم المدني، عالم المدينة، وقاضيها، وشيخها (ت١٤٠هـ - ٧٥٧م): "ما رأيت هاشمياً أفقه من علي بن الحسين"، وقال الزهري:" لم أر هاشمياً أفضل من علي بن الحسين، وما رأيت أحداً أفقه منه"، وعن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم قال:" ما رأيت مثل علي قط" وقال عليه السلام في قوله تعالى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (الرعد/٣٩) لولا هذه الآية لأخبرتكم بما هو كائن إلى يوم القيامة(٧).

قال عليه السلام:

إني لأكتم من علمي جواهره كيلا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا وقد تقدم في هذا أبو الحسن إلى الحسين، أوصى قبله الحسنا

فرب جوهر علم لو أبوح به ... لقيل لي: أنت ممن يعبد الوثنا

ولاستحل رجال مسلمون دمي ... يرون أقبح ما يأتونه حسنا(٨)

المبحث الثاني

شذرات تربوية من سيرة الإمام عليه السلام

إن الفكر التربوي الإسلامي الذي يرجع إلى تراثنا الإسلامي، بمصادره، ومنابعه المختلفة من كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وآله، وفكر أهل بيته الأطهار من الأئمة والعلماء المجتهدين وقياسهم الشرعي، واجتهاداتهم، وتفسيراتهم الصائبة ، مما يعطينا فكرة شاملة متكاملة عن الكون والإنسان والمجتمع والأمة، وعن المعرفة البشرية، وعن الأخلاق التي قد لا نستطيع تكوينها بهذا الشمول والتكامل، ولو رجعنا إلى الفلسفات الوضعية وبعبارة؛ أخرى أن الدارس للفلسفات الوضعية الأخرى في مصادرها المختلفة بوعي وعمق لا يخرج إلا ولديه فكرة متكاملة عن فلسفة الوجود، وفلسفة المعرفة، وفلسفة القيم، وهذا كل ما يحتاجه المربي في بناء فلسته التربوية الصالحة(٩).

واتسم الفكر التربوي عند أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله بخصائص تختلف عن غيرهم؛ لأنها عنوان مضيء في حياة الإنسانية لاسيما في الحياة العربية و الإسلامية وعلامة شامخة في حركة التاريخ الإنساني فهم أعلام الهدى وقدوة المتقين عرفوا بالعلم، والحكمة ، والإخلاص، والوفاء، والصدق، والحلم، وسائر صفات الكمال في الشخصية الإسلامية؛ فكانوا قدوة المسلمين ورواد حركة الإصلاح والتغيير في المسيرة الإسلامية، وقد تواترت الروايات على إثبات ذلك ففي رواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال: "إني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله..... وعترتي أهل بيتي، وأنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض". "أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركبه نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى"(١٠).

وما جاء في الحديث القدسي في صحيفة فاطمة الزهراء عليها السلام: " بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله العزيز العليم لمحمد نبيه وسفيره وحجابه واله أسمائي، وأشكر نعمائي، ولا تجحد آلائي، إني أنا الله لا إله إلا أنا، قاصم الجبارين، ومدين المظلومين، وديان يوم الدين، أني أنا الله لا إله إلا أنا، فمن رجا غير فضلي أو خاف غير عدلي عذبته عذاباً لا أعذب به أحداً من العالمين، فإياي له وصياً، وقد فضلتك على الأنبياء ، وفضلت وصيك على الأوصياء و أكرمتك بشبليك بعده وسبطيك الحسن والحسين، فجعلت حسنا معدن علمي بعد انقضاء مدة أبيه، وجعلت حسينا خازن وحيي و أكرمته بالشهادة وختمت

له بالسعادة، فهو أفضل من أستشهد وارفع الشهداء عندي درجة، جعلت كلمتي التامة معه وحجتي البالغة عنده، بعترته أثيب وأعاقب، أولهم علي سيد العابدين وزين أوليائي الماضين، وابنه شبه جده المحمود محمد الباقر لعلمي والمعدن لحكمتي، سيهلك المرتابون في جعفر، الراد عليه كالراد علي، حق القول مني لأكرمن مثوى جعفر ولأسرته في أشياعه وأنصاره وأوليائه، انتجبت بعده موسى ، وأتيحت فتنة عمياء صماء حندس لأن خيط فرضي لا ينقطع وحجتي لا تخفى وأن أوليائي يسقون بالكأس الأوفى، ألا ومن جحد منهم فقد جحد نعمتي ومن غير آية من كتابي فقد افترى علي وويل للمكذبين الجاحدين بعد انقضاء مدة موسى عبدي وحبيبي وخيرتي، فإن المكذب لأحدهم لكل أوليائي، وعلي وليي وناصري ومن أضع عليه أعباء النبوة وأمتحنه بالاضطلاع بها يقتله عفريت مستكبر يدفن بالمدينة التي بناها العبد الصالح إلى جنب شر خلقي لأقرن عينه بمحمد ابنه وخليفته من بعدي، ووارث علمه؛ فهو معدن علمي وموضع سري وحجتي على خلقي، جعلت الجنة مثواه، وشفعته في سبعين ألفا من أهل بيته كلهم قد استوجبوا النار، وختمت بالسعادة لابنه علي وليي وناصري والشاهد في خلقي وأميني على وحيي أخرج منه الداعي إلى سبيلي ، والخازن لعلمي الحسن؛ ثم أكمل ذلك بابنه لخمة للعالمين عليه كمال موسى وصبر أيوب، سيذل أوليائي في زمانه وتتهادى رؤوسهم كما تتهادى رؤوس الترك والد يلم، فيقتلون ويحرقون ويكونون خائفين مرعوبين وجلين، تصبغ الأرض بدمائهم ويفشوا الويل والرنة في نسائهم، هؤلاء أوليائي حقاً، بهم أدفع كل بلية وفتنة عمياء حندس ، وبهم أكشف الزلازل وأدفع الآصار و الأغلال أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون [١١].

ويعدّ الإمام زين العابدين عليه السلام الإمام الرابع من سلسة أهل البيت عليهم السلام بعد الأئمة علي والحسن والحسين وجاء الأئمة المعصومين الثمانية من ذريته، وقد صرح عدد من رجال الإسلام ومفكريهم بعظمة الإمام عليه السلام، إذ يشيدون بأعماله بناءً على ما بلغه من منزلة رفيعة من الفضل والعلم والتقوى، فعن الزهيري قال: "لم أرى امراً من أهل البيت أفضل علي بن الحسين عليه السلام، وقال بن حجر: "زين العابدين هو الذي خلف أباه علماً وزهداً وعبادة"[١٢].

فقد نشأ الإمام علي بن الحسين عليه السلام في كنف ثلاثة من الأئمة من أهل البيت الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، أولهم أمير المؤمنين الأمام علي عليه السلام باب مدينة

علم النبي صلى الله عليه وآله، والإمام الحسن المجتبى عليه السلام، والإمام الحسين عليه السلام سيدا شباب أهل الجنة، وتربى في حجرهم تربية صالحة علمية نبوية أخلاقية فكرية تليق بشأن الإمامة.

وقال الرسول محمد صلى الله عليه وآله: "إذا كان يوم القيامة منادٍ من بطان العرش ليقيم زين العابدين: فكأنني أنظر إلى ولدي علي بن الحسين، يخطو بين الصفوف (سيد العابدين) ثم يولد ولد اسمه محمد من صلبه"؛ فكان الإمام عليه السلام من أرف الناس وأبرهم وأرحمهم بأهل بيته وكان لا يتميز عليهم، وقد أثر عنه أنه قال: لئن أدخل إلى السوق ومعي درهم أبتاع بها عيالي لحماً وقد قرموا (قرموا: أشتد شوقهم إلى اللحم) أحب إلي من أن أعتق نسمة[١٣].

فعدّ الإمام الشافعي علي بن الحسين (أفقه أهل المدينة)، وقد أعترف بهذه الحقيقة حتى حكام عصره من خلفاء بني أمية، على الرغم من كلُ شيُء، فلقد قال عبد الملك بن مروان: "لقد أوتيت من العلم ومن الدين والورع ما لم يؤتيه احد مثلك إلا من مضى من سلفه".

وقال عمر بن عبد العزيز: "سراج الدنيا وجمال الإسلام زين العابدين" وعن أبن شهاب قال:" ما رأيت قريشاً أفضل من علي بن الحسين"[١٤].

عاش الإمام زين العابدين عليه السلام في مراحل قاسية مرت على قادة أهل البيت النبوي الشريف عليهم السلام؛ حيث بدأت الانحرافات العقائدية والفكرية تأخذ شكلا صريحاً واضحاً بسبب سياسات الحكام الأمويين وأمرائهم وتابعيهم، إذ شهد الإمام السجاد فاجعة كربلاء قتل الحسين سبط رسول الله صلى الله عليه وآله، وأخوته وأهل بيته من قبل الحكم الأموي، لكن الإمام عليه السلام لم يقف مكتوف الأيدي في خضم تلك الأحداث المريرة المؤلمة[١٥].

كان الإمام زين العابدين عليه السلام قائداً للطليعة الإسلامية الرسالية، وبجهده وبمساعدته استطاع معالجة الأزمة الروحية والفكري التي واجهتها أمة الإسلام آنذاك، لقد زرع علي بن الحسين عليه السلام بذرة الحرية في نفوس إفراد الآمة وهدم الهوة الكبيرة بين العرب وهم الأسياد آنذاك وبين غير العرب الذين دخلوا الإسلام حديثاً واصطدموا بممارسات المسلمين وأركان السلطة الأموية[١٦]، ولم تكن ثقة الأمة بالإمام زين العابدين عليه السلام على اختلاف اتجاهاتها ومذاهبها مقصورة على الجانب الفقهي والروحي فحسب، بل كانت تؤمن به مرجعاً،

وقائداً ومفزعاً في كل مشاكل الحياة وقضياها بوصفه امتداداً لآبائه الطاهرين، ومن أجل ذلك نجد أن عبد الملك، حينما اصطدم بملك الروم وهدده الملك الروماني باستغلال حاجة المسلمين إلى استيراد نقودهم من بلاد الرومان لإذلال المسلمين وفرض الشروط عليهم، فكتب أليه ملك الروم يقتفي أجوبة كتبه ويقول:" إنك قد استخففت بجوابي وهديتي ولم تسعفني بحاجتي، فتوهمتك استقللت الهدية، فأضعفتها فجريت على سبيل الأول، وقد أضعفتها ثالثة وأنا أحلف بالمسيح، لتأمرن برد الطراز ما كان عليه، أو لأمرن بنقش الدنانير والدراهم فإنك تعلم أنه لا ينقش شئ منها إلا ما ينقش في بلادي، ولم تكن الدراهم والدنانير نقشت في الإسلام، فينقش عليها شتم نبيك فإذا قرأته ارفض جبينك عرقا فأحب أن تقبل هديتي، وترد الطراز إلى ما كان عليه، ويكون فعل ذلك هدية توعني بها، ونبقى على الحال بيني وبينك "، فلما قرأ عبد الملك الكتاب، صعب عليه الأمر وغلظ، وضاقت به الأرض، وقال: " أحسبني أشام مولود ولد في الإسلام، لأني جنيت على رسول الله صلى الله عليه وآله من شتم هذا الكافر ما يبقى غابر الدهر ، ولا يمكن محوه من جميع مملكة العرب، إذ كانت المعاملات تدور بين الناس بدنانير الروم ودراهمهم، فجمع أهل الإسلام واستشارهم، فلم يجد عند أحدٍ منهم رائياً يعمل به، فقال له روح بن زنباع: " إنك لتعلم المخرج من هذا الأمر ولكنك تتعمد تركه، فقال: ويحك من ؟ فقال: عليك (بالباقي) بالباقر من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله قال: صدقت، ولكنه احتج على الرأي "، وهكذا فزع إلى الإمام زين العابدين عليه السلام فأرسل ولده الباقر عليه السلام إلى الشام وزوده بتعليماته الخاصة فوضع خطة جديدة للنقد الإسلامي وأنقذ الموقف؛ فكتب ملك الروم إلى عبد الملك يتوعده: " أكلت لحم الجمل الذي هرب عليه أبوك من المدينة لأغزو تك بجنود مائة ألف ومائة ألف ومائة ألف ". فكتب عبد الملك إلى الحجاج أن يبعث إلى زين العابدين عليه السلام ويتوعده ويكتب إليه ما يقول ففعل، فقال علي بن الحسين: أن الله لوحاً محفوظاً يلحظه في كل يوم ثلاثمائة لحظة ليس منها لحظة واحدة". فكتب بها الحجاج إلى عبد الملك، فكتب عبد الملك بذلك إلى ملك الروم، فلما قرأه قال: ما خرج هذا إلا من كلام النبوة (ليس هذا من كلامه، هذا من كلام عترة نبوته)"[١٧].

وانطلق الإمام زين العابدين عليه السلام من القرآن الكريم في إرشاد الأمة إلى ما يُحييها، ويطبق مفاهيمه على حياتهم. فقام الإمام زين العابدين عليه السلام بجهد وافر في هذا المجال؛ فقال

الإمام عليه السلام: " عليك بالقرآن فأن الله خلق الجنة بيده لبنة من ذهب، ولبنة من فضة؛ وجعل ملاطها المسك، وترابها الزعفران، وحصاها اللؤلؤ، وجعل درجاتها على قدر آيات القرآن قال له اقرأ ورق من دخل منهم الجنة لم يكن أحد في الجنة أعلى درجة منه ما خلا النبيين والصديقين"(١٨).

وكان الإمام يعبر عن كفاية القرآن، بتعاليمه الروحانية القيمة، بكونه مؤنساً للإنسان المسلم، يعني: أن الوحشة إنما هي بالابتعاد عن هذه التعاليم حتى لو عاش الإنسان بين الناس؛ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "فإذا التبست عليكم الأمور كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن فإنه شافع مشفع، وشاهد صدق، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو أوضح دليل إلى خير سبيل، ظاهره وباطنه علم، لا تحصى عجائبه، ولا تنقضي غرائبه، وهو حبل الله المتين، وصراطه المستقيم، من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن عمل به فاز "؛ ويقول الإمام زين العابدين عليه السلام: "آيات القرآن خزائن فكلما فتحت خزانة ينبغي لك أن تنظر ما فيها"، وقال: "من ختم القرآن بمكة لم يمت حتى يرى رسول الله صلى الله عليه وآله ويرى منزلة من الجنة"(١٩).

وكان من تراثه الفكري دعائه عليه السلام عند ختم القرآن: "اللهم إنك أعنتني على ختم كتابك الذي أنزلته نوراً، وجعلته مهيمناً على كتاب أنزلته، وفضلته على كل حديث قصصته، وفرقاناً فرقت به حلالك وحرامك، وقرآناً أعربت به عن شرائع أحكامك، وكتاباً فصلته لعبادك تفصيلا، ووحياً أنزلته على نبيك محمد صلواتك عليه وآله وسلم تنزيلاً، وجعلته نوراً نهتدي من ظلم الضلالة والجهالة بإتباعه، وشفاء لمن أنصت بفهم التصديق إلى استماعه، ميزان قسط لا يحيف عن الحق لسانه، ونور هدى لا يطفأ عن الشاهدين برهانه، وعلم نجاة لا يضل من أمّ قصد سنته، ولا تنال أيدي الهالكات من تعلق بعروة عصمته، اللهم فإذا أفدتنا المعونة على تلاوته، وسهلت حواسي ألسنتنا بحسن عباراته، فاجعلنا ممن يرعاه حق رعايته ويدين لك باعتقاد التسليم لمحكم آياته، ويفزع إلى الإقرار بمتشابهه وموضحات بيناته، اللهم إنك أنزلته على نبيك محمد صلى الله عليه وآله مجملاً، وألهمته علم عجائبه مكملاً، وورثتنا علمه مفسراً، وفضلتنا على من جهل علمه، وقويتنا عليه لترفعنا فوق من لم يطق حمله، اللهم فكما جعلت قلوبنا له حملة، وعرفتنا برحمتك شرفه وفضله، فصل على محمد الخطيب به، وعلى آله الخزان له، واجعلنا ممن يعترف بأنه من

عندك حتى لا يعارضنا الشك في تصديقه ولا يختلجنا الزيغ عن قصد طريقه، اللهم صلِّ على محمد وآله، واجعلنا ممن يعتصم بحبله، ويأوي من المتشابهات إلى حرز معقله، ويسكن في ظل جناحه، ويهتدي بضوء صباحه، ويقتدي بتبلج إسفاره، ويستصبح بمصباحه ولا يلتمس الهدى في غيره، اللهم وكما نصبت به محمداً علما الدلالة لديك، وأنهجت بآله سبل الرضا إليك، فصل على محمد وآله، واجعل القرآن وسيلة لنا إلى أشرف منازل الكرامة، وسلماً نعرج فيه إلى محل السلامة ، وسبباً نجزى به النجاة في عرصة القيامة وذريعة نقدم بها على نعيم دار المقامة، اللهم صل على محمد وآله، واحطط بالقرآن عنا ثقل الأوزار، وهب لنا حسن شمائل الأبرار، واقف بنا آثار الذين قاموا لك به إناء الليل وأطراف النهار حتى تطهرنا من كل دنس بتطهيره، وتقفوا بنا آثار الذين استضاؤا بنوره، ولم يلههم الأمل عن العمل فيقطعهم بخدع غروره، اللهم صل على محمد وآله، واجعل القرآن في ظلم الليالي مؤنساً ، ومن نزغات الشيطان وخطرات الوسواس حارساً، ولأقدامنا عن نقلها إلى المعاصي حابسا، ولألسنتنا عن الخوض في الباطل من غير آفة مخرساً ولجوارحنا عن اقتراف الآثام زاجراً، ولما طوت الغفلة عنا من تصفح الاعتبار ناشرا، حتى توصل إلى قلوبنا فهم عجائبه، وزواجر أمثاله التي ضعفت الجبال الرواسي على صلابتها عن احتماله، اللهم صل على محمد وآله، وأدم بالقرآن صلاح ظاهرنا، واحجب به خطرات الوسواس عن صحة ضمائرنا، واغسل يه درن قلوبنا وعلائق أوزارنا، وأجمع به منتشر أمورنا، وأرو به في موقف العرض عليك ظمأ هواجرنا، واكسنا به حلل الأمان يوم الفزع الأكبر في نشورنا، اللهم صل على محمد وآله، واجبر بالقرآن خلتنا من عدم الإملاق، وسق إلينا به رغد العيش وخصب سعة الأرزاق، وجنبنا به الضرائب المذمومة ومداني الأخلاق، واعصمنا به من هوة الكفر ودواعي النفاق حتى يكون لنا في القيامة إلى رضوانك وجنانك قائداً، ولنا في الدنيا عن سخطك وتعدي حدودك ذائداً، ولما عندك بتحليل حلاله وتحريم حرامه شاهداً، اللهم صل على محمد وآله، وهون بالقرآن عند الموت على أنفسنا كرب السياق، وجهد الأنين، وترادف الاحشار إذا بلغت النفوس التراقي، وقيل من راق، وتجلى ملك الموت لقبضها من حجب الغيوب، ورمادها عن قوس المنايا بأسهم وحشة الفراق، ودف لها من ذعائف الموت كأساً مسمومة المذاق، ودنا منا كأساً مسمومة المذاق، ودنا منا إلى الآخرة رحيل وانطلاق، وصارت الأعمال قلائد في الأعناق وكانت القبور هي المأوى إلى ميقات

يوم التلاق، اللهم صل على محمد وآله، وبارك لنا في حلول دار البلى، وطول المقامة بين أطباق الثرى، وأجعل القبور بعد فراق الدنيا خير منازلنا، وأفسح لنا برحمتك في ضيق ملاحدنا ولا تفضحنا في حاضري القيامة بموبقات آثامنا، وارحم بالقرآن في موقف العرض عليك ذل مقامنا، وثبت به عند اضطراب جسر جهنم يوم المجاز علبها زلل أقدامنا، ونور به قبل البعث سقف قبورنا ونجنا به من كل كرب يوم القيامة، وشدائد أهوال يوم الطامة، وبيض وجوهنا يوم تسود وجوه الظلمة في يوم الحسرة والندامة، وأجعل لنا في صدور المؤمنين ودا، ولا تجعل الحياة عليتا نكدا، اللهم صل على محمد عبدك ورسولك كما بلغ رسالتك، وصدع بأمرك، ونصح لعبادك، اللهم اجعل نبينا (صلواتك عليه وعلى آله) يوم القيامة أقرب النبيين منك مجلساً، وأمكنهم منك شفاعة، وأجلهم عندك قدراً، وأوجههم عندك جاهاً، اللهم صلي على محمد وآل محمد، وشرف بنيانه، وعظم برهانه، وثقل ميزانه، وتقبل شفاعته، وقرب وسيلته، وبيض وجهه، وأتم نوره، وأرفع درجته، وأحينا على سنته، وتوفنا على ملته، وخذ بنا منهاجه، وأسلك بنا سبيله، واجعلنا من أهل طاعته، واحشرنا في زمرته، وأوردنا حوضه، واسقنا بكأسه، وصل اللهم على محمد وآله، صلوات تبلغه بها أفضل ما يأمل من خيرك وفضلك وكرامتك إنك ذو رحمة واسعة، وفضل كريم، اللهم اجزه بما بلغ من رسالاتك، وأدى من آياتك، ونصح لعبادك، وجاهد في سبيلك، أفضل ما جزيت أحداً من ملائكتك المقربين، وأنبيائك المرسلين المصطفين، والسلام عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين ورحمة الله وبركاته"[٢٠].

مارس الإمام عليه السلام دوره عن طريق العمل على أنماء التيار الإسلامي الرسالي في الأمة، وتوسيع دائرته في الساحة؛ إذ شمر الإمام عليه السلام عن ساعديّه الجد لبدء ثورة روحية وثقافية عند المسلمين، تحركهم نحو الالتزام بالإسلام وتطبيق أحكامه في جميع نواحي الحيلة، وقد ساعد في أنجاح عمله عاملان أساسيان هما:

العامل الأول: الاضطراب السياسي و الاجتماعي الذي تفجر في أكثر مراكز العالم الإسلامي أهمية وتأثيراً، بعد مأساة الطف مباشرةً.

العامل الثاني: التجاوب النفسي مع أهل البيت عليهم السلام من قبل قطاعات واسعة في الأمة، نتيجة لشعور إسلامي عام بمظلومية أهل البيت عليهم السلام لا سيما بعد استشهاد الحسين عليه السلام[٢١].

فقد أتخذ الإمام زين العابدين عليه السلام من المسجد النبوي الشريف وداره المباركة مجالاً خصباً لنشر المعرفة الإسلامية، امتدت طوال خمسة وثلاثين عاماً وهي مدة إمامته مارس نشاطاً فكرياً من الطراز الأول، استقطب خلالها طلاب المعرفة الإسلامية في جميع حقولها، حتى استطاع أن يؤسس نواة مدرسة فكرية، لها طابعها ومعالمها المميزة، وتخرج فيها قمم فكرية وقادة رأي ورواة ومتحدثون وفقهاء، وكان يمارس مهمته التعليمية على نحوٍ رواية الأحاديث الصحيحة عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله؛ عبر سلسلة نقية لا يراودها أدنى شك، تبدأ بسيدي شباب أهل الجنة وتمر بجده أمير المؤمنين وتنتهي برسول الله صلى الله عليه وآله فالوحي المقدس".

وأخذ الإمام عليه السلام بالبحث عن صفوف المعرفة الإسلامية من تفسير، وحديث، وفقه، وعقائد، وأخلاق، ويفيض عليهم من علوم أبائه الطاهرين، ويمرن النابهين منهم على التفقه و الاستنباط؛ وقد تخرج في هذه الحلقة عدد لا بأس به من فقهاء المسلمين ، وكانت هذه الحلقة المنطلق لما نشأ بعد ذلك من مدارس فقهية وشخصيات علمية؛ وما وردّ عن الإمام عليه السلام من أحاديث، ترتبط بالعلم والعلماء، أنه قد خطط لهذه الحركة العلمية تخطيطاً بارعاً؛ فهو فضلاً عن تفرغه للتعليم بالرغم من جميع الهموم والألم التي تركتها له واقعة الطف الأليمة، وما تلاها من حوادث مؤلمة في العالم الإسلامي.. نجده يشيد بفضل العلم ويحث المستعدين للتعلم حثاً أكيداً قولاً، وفعلاً، وتكريماً من جهة، كما نجده يرسم للمتعلمين آداب التعلم، ويبينّ حقوق المعلم والمتعلم، ويرغبها في تحمل هذا العبء ببيان ثواب التعلم والتعليم، بحيث استطاع أ، يجمع عدداً من طلاب المعرفة، الذين عرفوا بالقُراء لأن ٤ قراءة القرآن وحفظه، وتعليم تفسيره كانت هي المحور في التعليم حينذاك(٢٢).

قال الإمام عليه السلام مشيداً بفضل العلم وثوابه وأهميته: "لو يعلم الناس ما في طلب العلم لطلبوه ولو بسفك المهج، وخوض اللجج، إن الله تبارك وتعالى أوصى إلى دانيال: إن أمقت عبيدي إلي الجاهل المستخف بحق أهل العلم، التارك للاقتداء بهم، وإن أحب إلي الطالب للثواب الجزيل اللازم للعلماء التابع للحلماء القابل عن الحكماء"؛ "طالب العلم من منزلة لم يضع رجلاً على رطب ولا يابس من الأرض إلا مسحت له الأرضون السبع".، وكان يكرم طلاب العلوم، ويرفع منزلتهم، ويرحب بهم قائلاً: "مرحباً بوصية رسول الله صلى الله عليه وآله، وكان إذا نظر إلى الشباب وهم يطلبون العلم أدناهم إليه وقال: "مرحباً بكم أنتم ودايع العلم ويوشك إذا أنتم صغار قوم أن تكونوا كبار آخرين"(٢٣).

كان الإمام زين العابدين عليه السلام غزير العلم واسع المعرفة، لم يقتصر على علم دون علم، فنراه عليه السلام يتكلم في كل العلوم حتى العلوم الطبيعية، مثل علمه عليه السلام بكروية الأرض، قال عليه السلام في بداية دعائه عند الصباح والمساء: " الحمد لله الذي خلق الليل والنهار بقوته، وجعل لكل واحد منهما حداً محدوداً، وأمداً ممدوداً، يولج كل واحد منهما في صاحبه، ويولج صاحبه فيه بتقدير منه للعباد "؛ أراد عليه السلام بهذا البيان البديع التعريف بما لم تدركه العقول في تلك العصور وهو كروية الأرض، وإذ إن هذا المعنى كان بعيداً عن إفهام الناس لانصراف العقول عن إدراك ذلك، تلطف؛ وهو الإمام العالم بأساليب البيان؛ بالإشارة إلى ذلك على وجه بليغ، فإنه عليه السلام لو كان بصدد بيان ما يشاهده عامة الناس من أن الليل ينقص تارة فتضاف من ساعاته إلى النهار، وينقص النهار تارة أخرى فتضاف من ساعاته إلى الليل، لا اقتصر على الجملة الأولى: "يولج كل واحد منهما صاحبه" ولما احتاج إلى ذكر الجملة الثانية: " ويولج صاحبه فيه " إذن فذكر الجملة الثانية إنما هو للدلالة على أن إيلاج كل من الليل والنهار في صاحبه يكون في حال إيلاج صاحبه فيه، لأن ظاهر الكلام أن الجملة الثانية حالية، ففي هذا دلالة على كروية الأرض، وان إيلاج الليل في النهار؛ مثلاً، عندما يلازم إيلاج النهار في الليل عند قوم آخرين. ولو لم تكن مهمة الإمام عليه السلام الإشارة إلى هذه النكتة العظيمة لم تكن لهذه الجملة الأخيرة فائدة، ولكانت تكراراً معنوياً للجملة الأولى(٢٤).

وكان الإمام علي بن الحسين عليه السلام ينقل فكره وعلمه التربوي إلى أبنائه فيقول: "يا ببني أن الله رضيني لك ولم يرضك لي فأوصاك بي ولم يوصني بك عليك بالبر فإنه تحفة كبيرة".

وقال: "طلب الحوائج إلى الناس مذلة للحياة ومذهبة للحياء واستخفاف بالوقار وهو الفقر الحاضر، وقلة طلب الحوائج هو الغنى الحاضر".

وقال: "إن أحبكم إلى الله أحسنكم عملاً، وإن أعظمكم عند الله عملاً فيما عند الله رغبة، وأن أنجاكم من عذاب الله أشدكم خشية لله، وإن أقربكم من الله أوسعكم خلقاً، وإن أرضاكم عند الله أسعاكم على عياله، وأن أكرمكم على الله أتقاكم لله".

وقال عليه السلام لبعض بنيه: "يا بني أنظر خمسة فلا تصاحبهم ولا تحادثهم ولا ترافقهم في طريق، فقال: "من هم يا أبتاه؟ فقال: إياك ومصاحبة الكذاب فإنه بمنزلة السراب يقرب لك البعيد ويبعد لك القريب، وإياك ومصاحبة الفاسق فإنه يبيعك بأكلة وما دونها، فقال له

ولده: وما دونهما؟ قال: يطمع فيها ولا ينالها، وإياك ومصاحبة البخيل فإنه يخذلك فيما أنت أحوج ما تكون إليه، وإياك ومصاحبة الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك، وإياك ومصاحبة القاطع لرحمه فإني وجدته ملعوناً في كتاب الله".

وقال عليه السلام: "ثلاث من كن فيه من المؤمنين كان في كنف الله وأظله يوم القيامة في ظل عرشه وأمنه من فزع اليوم الأكبر، من أعطى الناس من نفسه ما هو سائلهم لنفسه، ورجل لم يقدم يداً ولا رجلاً حتى يعلم أنه قدمها في طاعة الله أو فبمعصيته، ورجل لم يعب أخاه حتى يترك ذلك العيب من نفسه ، وكفى بالرجل شغلاً بعيب نفسه عن عيوب الناس".

وقال لابنه الباقر عليه السلام: "أفعل الخير إلى كل من طلبه منك، فإنه كان من أهله فقد أصبت موضعه، وأن لم يكن من أهله كنت أنت من أهله، وإن شتمك رجل عن يمينك ثم تحول إلي يسارك و أعتذر إليك فأقبل عذره".

وقال طاووس اليماني: " رأيت رجلاً يصلي في المسجد الحرام تحت الميزاب يدعو ويبكي في دعائه فجئته حين فرغ من صلاته فإذا هو زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام فقلت له: يا أبن رسول الله رأيتك على تلك الحالة، ولك ثلاث أرجو أن تؤمنك من الخوف، احدهما انك ابن رسول الله، والثانية شفاعة جدك، والثالثة رحمة الله عز وجل؛ فقال: يا طاووس، أما أني ابن رسول الله فذاك لا يؤمنني وقد سمعت الله يقول: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ (المؤمنون/١٠١)؛ أما شفاعة جدي، فلا تؤمنني لأن الله يقول: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ (الأنبياء/٢٨)؛ وأما رحمة الله تعالى، فإن الله يقول: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (الأعراف/٥٦)، ولا أرى أني من المحسنين[٢٥].

وفي رواية ثانية عن طاووس اليماني أنه قال: سمعت علي بن الحسين عليه السلام يقول في دعائه: "سبحانك تعصى كأنك لا ترى وتحلم كأنك لم تعص، تتودد إلى خلقك بحسن الصنيع كأن بك إليهم حاجة وأنت سيدي الغني عنهم، ثم خر ساجداً، قال طاووس: فدنوت منه وأخذت برأسه ووضعته على ركبتي وبكيت حتى جرت دموعي على خده فأستوى جالساً وقال: من الذي شغلني عن ذكر ربي، فقلت: أنا يا أبن رسول الله، مل هذا الجزع والفزع ونحن يلزمنا أن نفعل مثل هذا ونحن عاصون حافون سيدي أبوك الحسين بن

علي وأمك فاطمة الزهراء وجدك رسول الله، قال طاووس: فألتفت إلي وقال: هيهات هيهات يا طاووس دع عني حديث أبي وأمي وجدي، خلق الله الجنة لمن أطاعه وأحسن ولو كان عبدا حبشياً وخلق النار لمن عصاه وأساء ولو كان سيداً قرشيًا، أما سمعت قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ (المؤمنون/١٠١)، والله ينفعك غداً إلا ما تقدمه من عمل صالح".

وجاء في الكافي بسنده إلى أبي حمزة الثمالي إن علي بن الحسين عليه السلام كان يقول في مناجاته ويبكي: " سيدي تعذبني وحبك في قلبي، إما وعزتك لئن فعلت لتجمعن بيني وبين قوم طالما عاديتهم فيك "

وكان عليه السلام يوصي أصحابه بأداء الأمانة ويقول: "فو الذي بعث محمداً بالحق لو أن قاتل أبي الحسين عليه السلام ائتمني على السيف الذي قتله به لأديته إليه"(٢٦).

ويوصي بشكر المحسن ويقول: "أن الله يوم القيامة يقول لعبده أشكرت من أحسن إليك فيقول له بلى شكرتك يا الهي فيقول لم تشكرني إذا لم تشكره".

وجاء عنه أنه قال لولده الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام حين حضرته الوفاة: "يا بني إياك وظلم من لا يجد عليك ناصراً إلا الله، وأنه كان يقول: من استجار بأحد اخوانه ولم يجره فقد قطع ولاية الله عنه.

ويقول: "أن الله عباداً يسعون في حوائج الناس هم الآمنون يوم القيامة ومن أدخل على مؤمن سروراً فرج الله قلبه يوم القيامة ".

ويقول: "أيضاً أن لسان أبن آدم يشرف في كل يوم على جوارحه كل صباح فيقول كيف أصبحتم فيقولون بخير أن تركتنا وإنما يثاب ويعاقب بلسانه"(٢٧).

ويروي الرواة أن جماعة من أهل العراق دخلوا على الإمام علي بن الحسين عليه السلام وذكروا أبا بكر وعمر وعثمان بسوء ونالوا منهم، فقالوا لهم: ألا تخبروني من أنتم من المهاجرين الأولين الذين اخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون قالوا: لا، قال: أفأنتم من الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم

خصاصة ، فقالوا: لا ، فقال: أما أنتم فقد تبرأتم من أن تكونوا من هذين الفريقين وأنا أشهد أنكم لستم من الذين قال الله في حقهم: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحشر/١٠)[٢٨].

المبحث الثالث

الوصايا التربوية للإمام علي بن الحسين عليه السلام

أولاً – قراءة القرآن:

اتخذ الإمام عليه السلام في حركته الإصلاحية والعلمية هو أسلوب قراءة القرآن الذي استقطب به الإمام عليه السلام الجمهور، من القراء وحماة الكتاب والسنة، وغيرهم، وذلك بما كان يمتلكه عليه السلام من صوت جميل في قراءته للقرآن الكريم، ومن علم غزير في معارفه، ومن علم غزير في معارفه، فتارة بأسلوب فقهي، وتارة روحي.

ثانياً – الدعاء:

جعل الإمام عليه السلام الدعاء الذي استوعب مساحة كبيرة من حياته فقد استطاع أن يقدر خطورة الأجواء التي تحيط من حوله، ويرقب تلبد الآفات، واشتداد المحنة عليه وعلى كل الأحرار في زمنه، بل وجميع شرائح المجتمع الإسلامي، وفي هذا المعطى الأساسي في حياته عليه السلام تكمن عبقريته وينجلي ذكاؤه ويعرب عن قدرته ومواهبه المدعومة باللطف والتسديد الإلهي حتى ذهب كل مذهب وطرق كل آفات العلم والمعرفة وعالج مشاكل الحياة الاجتماعية والاقتصادية وغيرها من أسلوب فني أبدع فيه أيما أبدع، إنها لمن معجزات الإمام عليه السلام أن يصهر العلم والأدب وهموم الفرد والأمة ومشاكل الإسلام وما يعانيه في مجتمعه ثم يصوغ منها نصوصاً فريدة في صيغة دعاء لا يبعد روحانية السماء ولا ينسلخ عن حاجات الأرض، أنه لمن الغريب أن يعالج موضوع الحرب مثلاً بكل جفافه وصرامته بصيغة دعاء مفعم بالروحانية والزخم المعنوي، وهذا ما فعله علي بن الحسين عليه السلام في الصحيفة السجادية التي ستبقى شاهداً على عظمته وتنوع قدراته، أن لم نقل على أعجازه[٢٩].

ثالثاً – تحرير الرقيق وحكمته:

أقدم الإمام عليه السلام على شراء العبيد وتعليمهم وتثقيفهم، ثم إطلاقهم علماء ومبلغين

ودعاة يحملون فكر الإسلام وعلومه، إنها حقيقة الأمر جامعة علمية تأسست، بطريق يعجز العدو إن يغلق أبوابها بقرار جائر، أو يضع لها المناهج كيف يشاء، أو يتحكم بتعيين أساتذتها، ففي مجاورة الإمام عليه السلام سنة أو عدة سنين؛ ما يكفي لاكتساب قدر من العلم، وجرعة من الروح، ومرثية من الخلق، مما يؤهل صاحبها لأن يمارس دوراً كبيراً في خدمة دينه وأمته.(٣٠)

رابعاً - إحياء مأساة كربلاء:

استطاع الإمام عليه السلام أن يوظف مأساة كربلاء وما بثته من ألم وحرقة في نفوس المسلمين، ليزج بهذه المشاعر المعركة الكبرى المحتدمة بين قوى الخير و الإصلاح المتمثلة بأئمة أهل البيت عليهم السلام وخيار الصحابة من جهة، وبالحكم الأموي من جهة أخرى، وهذا ما يتضح بكل مواقف الإمام عليه السلام وأحزانه وأشجانه وهو يستذكر واقعة كربلاء دونما توقف، وأينما يجد مناسبة تسعفه في توظيف الحدث؛ لقد بكى علي بن الحسين عليه السلام على أبيه الحسين عليه السلام ما يزيد على عشرين سنة؛ وما وضع بين يديه طعام إلا بكى حتى قال له: " مولاي يا بن رسول الله أما آن لحزنك أن ينقضي؟ فقال له: ويحك إن يعقوب النبي عليه السلام كان له أثنا عشر أبناً فغيب الله عنه واحد منهم فابيضت عيناه من كثرة بكائه عليه، وشاب رأسه من الحزن واحدودب ظهره من الغم، وكان أبنه حياً في الدنيا، وأنا نظرت إلى أبي وأخي وعمي وسبعة عشر من أهل بيتي مقتولين حولي، فكيف ينقضي حزني؛ قال الإمام عليه السلام: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (يوسف: ٦٨)؛ إني ما أذكر مصرع بني فاطمة إلا خنقتني لذلك عبرة؛ بهذا العمل العظيم أسس الإمام عليه السلام الهيكل العام لمدرسة أهل البيت عليهم السلام من خلال نقل ورواية الأحاديث النبوية الصحيحة، ورواية تفسير القرآن الكريم وتأويله، والأخبار، والآثار، والإفتاء، والفقه، والأمور الاجتماعية، والاقتصادية والمحاضرات والمناقشات(٣١).

وقد بينّ الإمام علي بن الحسين عليه السلام في حق الصغير بعض الوصايا التربوية؛ فمراعاة حقه تنطوي على تربيته فقال عليه السلام: " وأما حق الصغير فرحمته، وتثقيفه، والعفو عنه، والستر عليه، والرفق به، والمعونة له، والستر على جرائر حداثته، فإنه سبب التوبة، والمداراة له وترك ممّا حكته فإن ذلك أدنى لرشده."، وأكد الإمام عليه السلام الحب الواعي المأمور به من قبل أهل البيت عليهم السلام ، والذي ينسجم مع دورهم في الحياة ومقامهم الواقعي؛ فقال: "أحبونا حب

الإسلام، ولا تحبونا حب الأصنام؛ فما زال حبكم صار علينا شيناً"(٣٢).

وكان الإمام عليه السلام يأخذ من عنده الصبيان بأن يصلوا الظهر والعصر في وقت واحد، والمغرب والعشاء في وقت واحد؛ فقيل له في ذلك فقال: "هو اخف عليهم وأجدر أن يسارعوا إليها ولا يضيعوها ولا يناموا عنها ولا يشتغلوا"، وقال الإمام علي بن الحسين عليه السلام في حق تعليم الأولاد: " وأما حق ولدك فتعلم أنه منك ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشره، وإنك مسؤول عمّا وليته من حسن الأدب، والدلالة على ربه، والمعونة له على طاعته فيك وفي نفسه، فمثاب على ذلك ومعاقب، فأعمل في أمره عمل المتزين بحسن أثره عليه في عاجل الدنيا، المعذرة إلى ربه فيما بينك وبينه بحسن القيام عليه والآخذ له منه"(٣٣).

من الأحاديث التربوية للإمام علي بن الحسين عليه السلام:

- "أربع من كن فيه، كمل إسلامه، ومحصت ذنوبه، ولقي ربه (عزّ وجل) وهو راض: من وفى لله (عزّ وجل) بما يجعل على نفسه للناس، وصدق لسانه مع الناس، واستحيى من كل قبيح عند الله وعند الناس، وحسن خلقه مع أهله ".
- "أن من أخلاق المؤمن الإنفاق على قدر الإقتار، والتوسع على قدر التوسع، وإنصاف الناس من نفسه، وابتداءه إياهم بالسلام".
- ثلاث منجيات للمؤمن: "كف لسانه عن الناس واغتيابهم، وإشغاله نفسه بما ينفعه لآخرته ودنياه، وطول البكاء على خطيئته".
- " إن قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد، وآخرين عبدوه رغبة فتلك عبادة التجار، وقوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار".
- ابن آدم: "إنك لا تزال بخير ما كان لك واعظ من نفسك، وما كانت المحاسبة من همك، وما كان الخوف لك شعاراً، والحذر لك دثاراً. ابن آدم: إنك ميت ومبعوث بين يديّ الله (عزّ وجل)، فأعد له جواباً ".
- "إني لأستحي من الله (عزّ وجل) أن أرى الأخ من إخواني فأسأل الله له الجنة وأبخل عليه بالدنيا فإذا كان يوم القيامة قيا لي: لو كانت الجنة بيدك لكنت بها أبخل وأبخل وأبخل"(٣٤).

- "اللهم أني أعوذ بك أن يحسن في لوامع العيون علا نيتي ويقبح في خفيات العيون سريرتي".
- " خمس خصال من فقد منهن واحدة لم يزل ناقص العيش، زائل العقل، مشغول القلب: فأولهن صحة البدن، والثانية والثالثة السعة في الرزق والدار، والرابعة الأنيس الموافق، فقيل له: وما الأنيس ؟ قال: الزوجة الصالحة والولد الصالح، والخامسة وهي تجمع هذه الخصال "
- " عليكم بأداء الأمانة، فو الذي بعث محمداً صلى الله عليه وآله بالحق نبياً، لو أن قاتل أبي الحسين ابن علي عليه السلام أئتمنني على السيف الذي قتله به لأديته إليه".
- "أني أجالس من أنتفع بمجالسته في ديني".
- "لو يعلم الناس ما في طلب العلم لطلبوه ولو بسفك المهج وخوض اللجج، إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى دانيال أن أمقت عبيديّ إلي الجاهل المستخف بحق أهل العلم، التارك للاقتداء بهم، وأن أحب عبيديّ إلي التقي الطالب الثواب الجزيل اللازم للعلماء، التابع للحكماء، القابل عن الحكماء".(٣٥).
- "أبلغ شيعتنا أنه لن يغني عنهم من الله شيئاً، وأن ولايتنا لن تنال إلا بالورع".
- "أحبونا حب الإسلام، ولا تحبونا حب الأصنام، فما زال حبكم حتى صار علينا شيناً".
- "نظر المؤمن في وجه أخيه المؤمن للمودة، والمحبة له عبادة".
- "لا يقل عمل مع تقوى، وكيف يقل مل يتقبل".
- "الخير كله صيانة الإنسان نفسه".
- "العامل بالظلم، والمعين عليه، والراضي به شركاء ثلاثة".
- "اتقوا الكذب الصغير منه والكبير في كل جد وهزل، فإن الرجل إذا كذب في الصغير اجترأ على الكبير".
- "إن المعرفة بكمال دين المسلم تركه الكلام فيما لا يعنيه، وقلة المراء، وحلمه، وصبره، وحسن خلقه".
- "الصبر من الغنائم، والجزع من الضعف ".

- "أيها الناس، أن كل صمت ليس فيه فكر فهو غي، وكل كلام ليس فيه ذكر فهو هباء"(٣٦).

- وسأل الإمام عليه السلام عن الكلام والسكوت أيهما أفضل ؟ فقال عليه السلام: " لكل واحد منهما آفات فإذا سلما من الآفات فالكلام أفضل من السكوت، قيل: وكيف ذاك يا بن رسول الله؟ فقال: لأن الله (عزّ وجل) ما بعث الأنبياء والأوصياء بالسكوت، إنما بعثهم بالكلام، ولا استحقت الجنة بالسكوت، ولا استوجبت ولاية الله بالسكوت، ولا وقيت النار بالسكوت، ولا تجنب سخط الله بالسكوت، إنما ذلك كله بالكلام، وما كنت لأعدل القمر بالشمس، إنك لتصف فضل السكوت بالكلام، ولست تصف فضل الكلام بالسكوت"(٣٧).

- قال بحضرته رجل: "اللهم أغنني عن خلقك؛ فقال عليه السلام: ليس هكذا: إنما الناس بالناس ولكن قل: اللهم أغنني عن شرار خلقك ".

- "حجوا واعتمروا تصح أبدانكم وتتسع أرزاقكم وتكفون مؤونات عيالكم... الحاج مغفور له وموجب له الجنة، ومستأنف له العمل ومحفوظ في أهله وماله ".(٣٨)

- "مجالسة الصالحين داعية إلى الصلاح، وآداب العلماء زيادة في العقل، وطاعة ولاة العدل تمام العز، واستثمار المال تمام المرؤة، وإرشاد المستشير قضاء لحق النعمة، وكف الأذى من كمال العقل، وفيه راحة البدن عاجلاً وآجلاً".

- "جالسوا أهل الدين والمعرفة، فأن لم تقدروا عليهم، فالوحدة انس واسلم، فإن أبيتم إلا مجالسة الناس فجالسوا أهل المرؤات، فأنهم لا يرفثون في مجالسهم".

- "سادة الناس في الدنيا الأسخياء وفي الآخرة أهل الدين وأهل الفضل والعلم لأن العلماء ورثة الأنبياء".

- "لا تمتنع من ترك القبيح وإن كنت قد عرفت به، ولا تزهد في مراجعة الجميل وإن كنت قد شهرت بتركه، وإياك والابتهاج بالذنب فإن الابتهاج بالذنب أعظم من ركوبه"(٣٩).

- "ما من خطوة أحب إلى الله (عزّ وجل) من خطوتين: خطوة يسد بها المؤمن صفاً في سبيا الله، وخطوة إلى ذي رحم قاطع، وما من جرعة أحب إلى الله (عزّ وجل) من

جرعتين: جرعة غيظ ردها مؤمن بحلم، وجرعة مصيبة ردها مؤمن بصبر، وما من قطرة أحب إلى الله (عزّ وجل) من قطرتين: قطرة دم في سبيل الله وقطرة دمعة في سواد الليل لا يريد بها عبد إلا الله (عزّ وجل)".

- "عجبت للمتكبر الفخور الذي كان بالأمس نطفة وهو غداً جيفة.. وعجبت كل العجب لمن في الله وهو يرى خلقه، وعجبت كل العجب لمن أنكر النشأة الأخرى وهو يرى النشأة الأولى، وعجبت كل العجب لمن عمل لدار الفناء وترك العمل لدار البقاء"(٤٠).

- "إن للحمق دولة على العقل، وللمنكر دولة على المعروف، وللشر دولة على الخير، وللجهل دولة على الحلم، وللجزع دولة على الصبر، وللخوف وللخرق دولة على الرفق، وللبؤس دولة على الخصب، وللشدة دولة على الرخاء، وللرغبة دولة على الزهد، وللبيوتات الخبيثة دولة على بيوتات الشرف، وللأرض السبحة دولة على الأرض العذبة، وما من شيء إلا وله دولة حتى تنقضي دولته فتعوذوا بالله مكن تلك الدول ومن الحياة في النقمات"(٤١).

- قال عليه السلام لأبنه الباقر: "يا بني أصبر على النائبة ولا تتعرض للحقوق، ولا تحب أخاك إلى شيء مضرته عليك أعظم من منفعته لك".

- قال عليه السلام: "يا بني إن الله لم يرضك لي فأوصاك بي، ورضيني لك فحذرني منك، وأعلم أن خير الإباء للأبناء من لم تدعه المودة إلى التفريط فيه وخير الأبناء من لم يدعه التقصير إلى العقوق له".

- قال عليه السلام لأولاده: "يا بني إذا أصابتكم مصيبة من الدنيا، أو نزلت بكم فاقة، أو أمر فادح، فليتوضأ منكم وضوءه للصلاة، وليصل أربع ركعات أو ركعتين؛ إن هذه الكلمات قطرة من بحر الإمام البليغة، ولمعاته المضيئة التي لا تختص بجهة دون جهة، ولا بناحية دون أخرى، أنها ليست لزمن دون زمن، أنها القرآن؛ بل هو القرآن الناطق الذي فيه تبيان كل شيء"(٤٢).

- الرفق حقًا من حقوق المستنصح فقال: "وأما حق المستنصح، فإن حقه أن تؤده إليه النصيحة على الحق الذي ترى له أنه يحمل ويخرج المخرج الذي يلين على مسامعه،

وتكلمه من الكلام بما يطيقه عقله، وإن لكل عقل طبقة من الكلام يعرفه ويجتنبه، وليكن مذهبك الرحمة".(٤٣).

كان علي بن الحسين عليه السلام يعظ الناس ويزهدهم في الدنيا ويرغبهم في أعمال الآخرة بهذا الكلام في كل جمعة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله: وحفظ عنه وكتب، وكان يقول: " يا أيها الناس؛ اتقوا واعلموا أنكم إليه ترجعون... يا بن آدم إن أجلك أسرع شيء إليك، قد أقبل نحوك حثيثاً يطلبك ويوشك أن يدركك، وكأن قد أوفيت أجلك، وقبض الملك روحك، وصرت إلى قبرك وحيداً، فرد إليك روحك، واقتحم عليك فيه ملكان ناكر ونكير لمساءلتك وشديد امتحانك، واتقوا الله عباد الله واعلموا أن الله عز وجل لم يحب زهرة الدنيا وعاجلها لأحد من أوليائه ولم يرغبهم فيها وفي عاجل زهرتها وظاهر بهجتها، وإنما خلق الدنيا وأهلها ليبلوهم فيها أيهم أحسن عملاً لآخرته، وأيهم الله لقد ضرب لكم فيه الأمثال، وعرف الآيات لقوم يعقلون، ولا قوة إلا بالله، فازهدوا فيما زهدكم الله عزّ وجل فيه من عاجل الحياة الدنيا، ولا تركنوا إلى زهرة الدنيا وما فيها ركون من أتخذها دار قرار، ونزل استيطان، فأنها دار بلغة، ومنزل قلعة، ودار عمل، فتزودوا الإعمال الصالحة فيها قبل تفرق أيامها، وقبل الإذن من الله في خرابها، جعلنا الله وإياكم من الزاهدين في عاجل زهرة الحياة الدنيا، الراغبين لأجل ثواب الآخرة فإنما نحن بهوله"(٤٤).

لقد كان الإمام علي بن الحسين عليه السلام يحرص على أن يضع الناس على اختلاف طبقاتهم ومنازلهم تجاه مسؤولياتهم وما يجب عليهم لله وللناس ولكن بأسلوب يختلف عن أساليب الوعاظ والمرشدين والقصاصين، لقد استعمل أسلوب الحوار مع الله ومناجاته واستعطافه وتمجيده في ستين دعاء عرفت بالصحيفة السجادية رواها عنه الإمام الباقر عليه السلام وولده زيد بن علي وثقات لصحاب الأئمة وتداولها الشيعة من بعده ولا تزال من المقدسات عند خيار الشيعة يواظبون على ادعيتها في الليل والنهار والغدوات والأسمار وطلب الحوائج وغير ذلك(٤٥).

وكانت للأدعية السجادية إبعاد فكرية واسعة المدى بالنصوص الحاسمة لقضايا عقائدية إسلامية، كانت بحاجة إلى البث فيها بنص قاطع، بعد إن عصفت بالعقيدة تيارات الإلحاد كالتشبيه والجبر والإرجاء وغيرها، مما كان للأمويين وراء بعثها وأثارها وترويجها،

بهدف تحريف مسيرة التوحيد والعدل، تمهيداً للردة عن الإسلام والرجوع إلى الجاهلية الأولى، في حالة القمع، والإبادة، ومطاردة كل المجاهدين الأحرار، وتتبع أثارهم وخنق أصواتهم، إن قرار الإمام زين العابدين عليه السلام بأتباع سياسة الدعاء انجح وسيلة لبث الحقائق وتخليدها، وأمن طريقة وأبعدها من أثارة السلطة الغاشمة، وأقوى أداة اتصال سرية مكتوبة هادئة موثوقة(٤٦).

هوامش البحث

(١) البخاري، أبو عبدا لله محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري، تحقيق مصطفى الزين، ط٣، بيروت، دار بن كثير، ١٩٧٨، ص٤.

(٢) الحسني، معروف هاشم. سيرة الأئمة الأثنى عشر، مج ٢، ط٧، بيروت لبنان، منشورات الإمام الرضا، د.ت، ص ١٥٤.

(٣) الخفاجي، نافع. في رحاب الإمام زين العابدين، بغداد، دار الأنوار، ١٩٧٨، ص٩.

(٤) اليعقوبي، محمد. دور الأئمة في الحياة الإسلامية، ج١، ط١، بيروت، ١٤٣٦ه،ص٢٢٤.

(٥) ابن الجوزي، الإمام أبي الفرج عبد الرحمن. بستان الواعظين ورياض السامعين، بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٢٦ه ، ص١٣٤.

(٦) الطوسي، للشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي. تهذيب الإحكام، ط١، طهران، دار الكتب الإسلامية، ت ٤٦٠، ص٧٢٧.

(٧) الحسني، المصدر السابق، ص١٤٧.

(٨) خليل، ياسين. التراث العلمي العربي، ج١، بغداد، مركز إحياء التراث العلمي العربي،١٩٧٩، ص٤.

(٩) بن حنبل،. مسند بن حنبل، مصر، المطبعة الميمنية، ٢٣١٣ه، ص ٤٦.

(١٠) الحسني، المصدر السابق، ص١٦٣.

(١١) المطهري، مرتضى. الملحمة الحسينية،ط١، بيروت، الدار الإسلامية، ١٩٩٠، ص٣٣٣_٣٣٤.
الحسني، المصدر السابق،ص١٦٦.

(١٢) اليعقوبي، احمد بن أبي واضح. تاريخ اليعقوبي، ج٢، بيروت، دار صادر، ١٩٧٩، ص ٢٢٤.

(١٣) الشعراني، السيد عبد الوهاب. كتاب الطبقات الكبرى، ج١، ط١، القاهرة، د.ت، ص٢٧.

(١٤) الصدر، محمد باقر. الصحيفة السجادية الكاملة، بتحقيق وتنسيق علي أنصاريان، طهران، د. ت، ص٢١٤.

(١٥) الحسني، المصدر السابق، ص ١٦٧.

(١٦) الحسني، المصدر نفسه، ص ١٧٣.

(١٧) الحسني، المصدر نفسه، ص ١٧٧-١٧٨.

(١٨) الحسني، المصدر نفسه، ص ١٦٨.
(١٩) الحسني، المصدر السابق، ص١٧٩.
(٢٠) مؤسسة البلاغة. نفحات من السيرة، ط٣، إيران ، ٢٠٠٤، ص١٤٠-١٤١.
(٢١) الصدر، المصدر السابق، ص٢٢٠.
(٢٢) الكافي، الشيخ ابن جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق. الأصول، طهران، دار الكتب الإسلامية، ت ٣٢٨هـ، ص٣٥.
(٢٣) الحافظ، ابن شهر آشوب. في ترجمة الإمام عليه السلام، من مناقب آل أبي طالب، ج٤، النجف الأشرف، د.ت، ص٢٠٣.
(٢٤) الحسني، المصدر السابق، ص ١٧٠ -١٧١.
(٢٥) الحسني، المصدر نفسه، ص ١٨١- ١٨٨.
(٢٦) الحراني، الشيخ الثقة الجليل الأقدم أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني، تحف العقول عن آل الرسول، ط١، النجف الاشرف، مطبعة قلم، ٢٠٠٦،ص١٨٩.
(٢٧) الكافي، المصدر السابق، ص ٤٣.
(٢٨) الكافي، المصدر نفسه، ص ٤٧.
(٢٩) الكافي، المصدر نفسه، ص ٤٨.
(٣٠) الحسني، المصدر السابق، ص ١٧٢.
(٣١) الحسني، المصدر نفسه، ص ١٧٢-١٧٣.
(٣٢) الحراني، المصدر السابق، ص ٢٠٣.
(٣٣) الحراني، المصدر نفسه، ص ٢٠٣.
(٣٤) الحسني، المصدر السابق، ص ١٨٠.
(٣٥) الحسني، المصدر نفسه، ص ١٨٠.
(٣٦) الحسني، المصدر نفسه، ص ١٨٠.
(٣٧) الذهبي، ابو عبد الله شمس الدين محمد بن عثمان. سيرة أعلام النبلاء، ط٤، اشرف على تحقيق الكتاب شعيب الارنؤوطي، بيروت، ٧٤٨هـ، ص٣٩٦.
(٣٨) محمد، باقر بن محمد تقي بن المقصود، بحار الأنوار، ط١، بيروت، مؤسسة الوفاء، ١١١هـ، ص١٠٣ -١٠٥.
(٣٩) الكافي، المصدر السابق، ص ٦٤.
(٤٠) الحافظ، المصدر السابق، ص ١٩٩.
(٤١) الحراني، المصدر السابق، ص ٨٨.
(٤٢) الذهبي، المصدر السابق، ص ٣٢٠.
(٤٣) محمد، المصدر السابق، ص١٠٧.
(٤٤) الذهبي، المصدر السابق، ص ١٨٦.

(٤٥) الخفاجي، نافع الخفاجي. في رحاب الإمام زين العابدين، بغداد، دار الأنوار، ١٩٧٨، ص٦٧.
(٤٦) مغنية، محمد جواد. من خلال الصحيفة السجادية، بيروت، دار التعارف، ١٩٧٩، ص٢٢٤ -٢٢٥.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

ابن الجوزي، الإمام أبي الفرج عبد الرحمن. بستان الواعظين ورياض السامعين، بيروت، المكتبة العصرية، ١٤٢٦هـ.

١- ابن حنبل،. مسند بن حنبل، مصر، المطبعة الميمنية، ٢٣١٣هـ.
٢- البخاري، أبو عبدا لله محمد بن إسماعيل. صحيح البخاري، تحقيق مصطفى الزين، ط٣، بيروت، دار بن كثير، ١٩٧٨.
٣- الحافظ، ابن شهر أشوب. في ترجمة الإمام عليه السلام، من مناقب آل أبي طالب، ج٤، النجف الأشرف، د.ت.
٤- الحراني، الشيخ الثقة الجليل الأقدم أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني، تحف العقول عن آل الرسول، ط١، النجف الاشرف، مطبعة قلم، ٢٠٠٦.
٦- الحسني، معروف هاشم. سيرة الأئمة الأثنى عشر، مج ٢، ط٧، بيروت لبنان، منشورات الإمام الرضا، د.ت، ص ١٥٤.
٧- الخفاجي، نافع.في رحاب الإمام زين العابدين، بغداد، دار الأنوار، ١٩٧٨.
٨ - خليل، ياسين. التراث العلمي العربي، ج١، بغداد، مركز إحياء التراث العلمي العربي، ١٩٧٩
٩- الذهبي، ابو عبد الله شمس الدين محمد بن عثمان. سيرة أعلام النبلاء، ط٤، اشرف على تحقيق الكتاب شعيب الارنؤوطي، بيروت، ٧٤٨هـ.
١٠- الشعراني، السيد عبد الوهاب. كتاب الطبقات الكبرى، ج١، ط١، القاهرة، د.ت.
١١- الصدر، محمد باقر. الصحيفة السجادية الكاملة، بتحقيق وتنسيق علي أنصاريان، طهران، د. ت.
١٢- الطوسي، للشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي. تهذيب الإحكام، ط١، طهران، الدار العصرية، ١٤٢٦هـ.
١٣- الكافي، الشيخ ابن جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق. الأصول، طهران، دار الكتب الإسلامية، ت ٣٢٨هـ.

١٤- محمد، باقر بن محمد تقي بن المقصود، بحار الأنوار، ط١، بيروت، مؤسسة الوفاء، ١١١هـ.

١٥- المطهري، مرتضى. الملحمة الحسينية،ط١، بيروت، الدار الإسلامية، ١٩٩٠.

١٦- مغنية، محمد جواد. من خلال الصحيفة السجادية، بيروت، دار التعارف، ١٩٧٩.

١٧- مؤسسة البلاغة. نفحات من السيرة، ط٣، إيران ، ٢٠٠٤.

١٨- اليعقوبي، احمد بن أبي واضح. تاريخ اليعقوبي، ج٢، بيروت، دار صادر، ١٩٧٩.

١٩- اليعقوبي، محمد. دور الأئمة في الحياة الإسلامية، ج١، ط١، بيروت، ١٤٣٦هـ.